منهج فنسنك في دراسة العلاقات
بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة

د. خليفة محمد عمر

قسم التاريخ - جامعة الخرطوم

المستخلص:

يهدف هذا البحث لدراسة المنهج الذي اتبعه أرنت فنسنك - أحد أعلام المستشرقين بصفة عامة وأحد أركان مدرسة الاستشراق الهولندي بصفة خاصة - لتفسير أسباب جلاء اليهود من المدينة التي وردت في كتابه "محمد ويهود المدينة". كما يهدف إلى التأكيد على أن أي مسعى لبيان الخلل في الدراسات الاستشراقية لابد أن يصطحب في معيته نقد مناهج تلك الدراسات. وقد خلصت الدراسة إلى أن فنسنك الذي اتبع نهجاً انتقائياً في تعامله مع النصوص والمصادر وأن بعض الاستنتاجات التي توصل لها الكاتب لم تبن وتستند على تحليل علمي للنصوص والمصادر وإنما انطلقت من بعض القوالب او الاطروحات الجاهزة والمعدة مسبقاً التي حاول الكاتب الاستدلال عليها بكل ما يخدم النتيجة المحددة سلفا. كما جاءت الاستنتاجات في بعض الأحيان ترديداً او اتباعاً لما اشارت له بعض الدراسات الاستشراقية السابقة. كما نَبَّهتْ إلى الأثر الواضح لآراء الكاتب على بعض الدراسات الاستشراقية اللاحقة.

هذه الدراسة مقدمة لدراسة شاملة لآراء أرنت فنسنك (ونسنك) أحد أركان المدرسة الهولندية التي تناولت بالدراسة السيرة النبوية وهي تتمركز حول أسباب إجلاء اليهود من المدينة التي وردت في كتابه "**Muhammad and the Jews of Medina**"

توجد العديد من الدراسات في العالم الإسلامي التي تناولت أعمال فنسنك إلاَّ أنَّ الغالب على هذه الدراسات التركيز علي أعماله في دائرة المعارف الإسلامية،وكتاب العقيدة الاسلامية، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث فضلاً عن تناول بعض ما جاء في كتابه "محمد (صلى الله عليه وسلم) ويهود المدينة" ضمن آراء المستشرقين بصفة عامة عن العلاقة بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) واليهود (انظر، الجميل، ٢٠٠٦، صفحات متفرقة)، ولا توجد دراسة تمحورت على آرائه حول الأسباب التي أدت إلى إجلاء اليهود عن المدينة على الرغم من أن دراسة فنسنك تعد من أقدم الدراسات التي اهتمت بالعلاقات بين الرسول صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة.

لاشك أنه من خلال المناقشة التفصيلية لآرائه حول الأسباب التي أدت إلى إجلاء اليهود من المدينة يمكن الوقوف على وجهة نظره من سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تجاه اليهود. ومعرفة ما إذا كانت النظرة الاستشراقية الموروثة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثرت في النتائج التي توصل لها الكاتب أم لم تؤثر.

ستقدم الدراسة نبذة مختصرة عن الكاتب، وأهم أعماله؛ و من ثم تتناول بالتحليل المنهج الذي اتبعه فنسنك لتفسير الأسباب التي أدت إلى إجلاء يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة من المدينة. كما ترمي الدراسة إلى التعرف على آراء الكاتب من سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تجاه اليهود وبيان ما إذا كانت هذه الآراء نتاج منهج علمي موضوعي أم أنَّها تأثرت بالموروث التاريخي للدراسات الاستشراقية تجاه السيرة النبوية إضافة إلى إبراز ما أفرزته آراء الكاتب من أثر على الدراسات الاستشراقية اللاحقة.

نبذة عن الكاتب: ١٨٨١ – ١٩٣٩

تتلمذ فنسنك على عدد من من رواد المدرسة الهولندية من بينهم هوتسمان، ودي خويه، وسنوك هورخرونيه، وسخاو. حصل على درجة الدكتوراة من جامعة ليدن في ١٩٠٨ عن بحثه محمد (صلى الله عليه وسلم) ويهود المدينة. عمل بعد حصوله على درجة الدكتوراة أستاذاً للغة العبرية بجامعة ليدن في الفترة من ١٩٠٨ – ١٩٢٧، ثم أستاذاً للغة العربية بنفس الجامعة في الفترة من

١٩٢٧ – ١٩٣٩ (بدوي، ١٩٨٤، ٢٨٩-٢٩٠). دفعه اهتمامه بالدراسات الإسلامية لزيارة عدد من بلدان العالم العربي منها مصر وسوريا وغيرها من البلاد العربية ورشح لعضوية أول لجنة لمجمع اللغة العربية في مصر واعترض على ترشيحه فاستبدل بالمستشرق الألماني ليتمان.

للكاتب (المرجع السابق) عدد من المساهمات في مجال الدراسات الإسلامية بصفة عامة والسيرة النبوية بصفة خاصة. فقد أشرف مع عدد من الباحثين على تحرير دائرة المعارف الإسلامية كما شارك في كتابة عدد من المواضيع فيها. ومن مؤلفاته "مفتاح كنوز السنة" و"المعجم المفهْرِس لألفاظ الحديث النبوي والعقيدة الإسلامية" إضافة إلى كتاب محمد (صلى الله عليه وسلم) ويهود المدينة، الذي هو موضوع هذه الورقة.

كتاب "محمد ويهود المدينة"

يتوزع الكتاب إلى مقدمة وأربعة فصول وملحق. حاول الكاتب في المقدمة إعادة طرح السؤال الذي طُرِح من من قبل بواسطة عدد من المستشرقين حول "مدى أصالة الإسلام" أو محاولة إثبات أن الرسول اعتمد على اليهود و من كانوا على الحنفية وبعض أهل الديانات السابقة.

يتناول الفصل الأول جغرافية المدينة وسكنى القبائل بها والعلاقات بين الفئات السكانية قبيل الهجرة. بينما يتناول الفصل الثاني العلاقات بين الرسول واليهود قبل بدر. أما الفصل الثالث فقد خصصه لتناول الأثر اليهودي علي العقيدة الإسلامية. وجاء الفصل الرابع – موضوع الورقة – والذي حاول فيه الكاتب أن يقدم دراسة نقدية للمصادر حول إجلاء اليهود.

منهج الدراسة

ستتبع الدراسة منهجاً تحليلياً يعرض آراء الكاتب شرحا وتعليلا ، ثم نقدها. الذي يأتي أحياناً بالتزامن مع عرض الأراء أو يأتي لاحقاً للعمل التفسيري التفكيكي.

إجلاء بني قينقاع:

أشار الكاتب في بداية الفصل (Wensink, 1982, 104) إلى أنه لايود أن يفصل الحديث عن مصير اليهود حتى إجلائهم عن الحجاز لأنه لن يقدم جديداً وذلك لأن تفاصيل الحصار، وما حل ببني النضير وقينقاع والمصير الدموي لبني قريظة موجودة في كل الأعمال التي تناولت سيرة محمد

(صلى الله عليه وسلم). فالحقائق الأساسية من المفترض أنها معروفة ولذلك سيكون التركيز على الجوانب التي لم تلق اهتماماً حتى الآن أو لم يتم تناولها بصورة تفصيلية.

الأسباب:

ساق الكاتب (Ibid, 104-108) عدداً من الأسباب لإجلاء بني قينقاع، منها انتصار محمد (صلى الله عليه وسلم) على القرشيين الذي أدى إلى ما قام به محمد (صلى الله عليه وسلم) من عمل ضد اليهود فلولا معركة بدر لكان مثل هذا التصرف نوعاً من المغامرة. وأضاف أيضاً أن المواداعة مع اليهود وعلاقات الود معهم كان القصد منها كسب الوقت حتى يتوطد محمد (صلى الله عليه وسلم) في المدينة. وكذلك فشل محمد (صلى الله عليه وسلم) في كسب اليهود ورفضهم لقبول الإسلام بالرغم من سعيه في مرات عديدة لكسب اليهود بالتركيز على ديانتهم لكنه لم ينجح. وأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم ينس ما كان يصيبه من أذى يومي من قبل اليهود وكان عليه كبح جماح غضبه انتظاراً للحظة المناسبة والتي حانت بعد بدر (ibid, 105). فضلاً عن أن اليهود كانوا عقبة في سبيل قيام حكومة دينية. فالنبي (صلى الله عليه وسلم) أدرك منذ فترة طويلة أنه لن يستطيع تحقيق ما يتطلع إليه من إقامة حكومة دينية طالما أنه محاط بجماعة تساوي مؤيديه من حيث العدد و كما أنه لا يمكن أن يعتمد عليهم فضلاً على أنه كان يخشاهم. كما شكلت ممتلكات اليهود دافعاً آخر لاستهدافهم (.Ibid). وقد تم اختيار بني قينقاع بسبب أنهم أقرب الجماعات اليهودية للمسجد النبوي ولما كان يلقاه النبي (صلى الله عليه وسلم) من مضايقات يومية من قبلهم وأن أفضل طريق لتطهير المدينة من العدو هو البداية بأقرب الأعداء ولذلك كان لابد من القضاء على بني قينقاع. ولما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعلم أن اليهود مختلفين فيما بينهم فقد قرر الانفراد بالقبائل اليهودية (Ibid, 106).

فالكاتب يرى أن نصر بدر عزز من مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية وفي المدينة بينما أضعف من موقف اليهود وأصابهم بخيبة الأمل . كما أنه مثل بداية لتحقيق خطط محمد (صلى الله عليه وسلم) الرامية إلى تطهير المدينة من العدو الداخلي بمثابة شرط شرط لكسب العدو الخارجي. قبل أن ننظر في الروايات التي استند عليها الكاتب لابد من طرح عدد من التساؤلات التي تتعلق بما ساقه الكاتب من أسباب قبل النظر في المصادر التي اعتمد عليها. أولاً إن الكاتب لم يوضح الأساس الذي استند عليه في الزعم أن النبي (صلى الله عليه

وسلم) كان يخطط منذ البدء للقضاء على اليهود ،وأنه كان ينتظر اللحظة المناسبة التي توافرت له بعد انتصار بدر. كما أنه لم يوضح لنا الأساس الذي بنى عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) هذه الخطة، ولماذا استبعاد النبي (صلى الله عليه وسلم) احتمال إسلام اليهود وهم أقرب للمسلمين من المشركين. ولماذا لم ينظر الكاتب إلى ما جاء في الرواية على أنه نصح وليس تهديداً، فالحرية الدينية لليهود نصت عليها وثيقة المدينة التي لم تشترط على اليهود الإسلام للبقاء في المدينة. أيضاً لم يقدم الكاتب سبباً لمعارضة اليهود لقيام حكومة دينية. وعلينا أيضاً أن نتساءل لماذا لم يناقش الكاتب احتمال أن اليهود هم الذين كانوا يتحينون اللحظة المناسبة لأنهاء وجود النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة. فالهجرة تمت نتيجة لبيعتي العقبة اللتين شارك فيهما حلفاء اليهود من الأوس والخزرج ولم تتم استشارة الجماعات اليهودية بالمدينة في ذلك الاتفاق. ويضاف إلى هذا ما أورده الكاتب من أن اليهود بالرغم من موادعة النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم و سعيه لعلاقات ودية إلا أنهم كانوا يسببون له الكثير من الأذى والمضايقات. ويلاحظ أن الكاتب دائم التركيز على مضايقات اليهود للنبي (صلى الله عليه وسلم) كما سيتضح من خلال هذه الورقة وهي حجة تقوى من احتمال التخطيط للقضاء على المسلمين فضلاً عن أنها تشير إلى عدم الالتزام بالموادعة كما سنبين لاحقاً. كما أن الكاتب لم يفسر لنا لماذا يصاب اليهود بالذل وخيبة الأمل لانتصار النبي (صلى الله عليه وسلم) وهم من حلفائه ألا ينطوي هذا القول على احتمال أن اليهود كانوا يسعون للقضاء على وجود المسلين في المدينة. فالسؤال الأمثل هو ألم يكن من الممكن أن يكون اليهود هم من كان يتربص بالمسلمين فبالرغم من انتصار بدرإلا أن قوة بني قينقاع كانت تفوق قوة المسلمين كما تشير المصادر (أبن هشام، (د. ت.)، ٥٤-٥٥؛ السيرة الحلبية، ج٢٨٥،٢).

مصادر الكاتب:

حاول الكاتب الاستناد على عدد من الروايات لتدعيم ما ذهب إليه ومن ذلك ما أورده ابن إسحاق (المصدر السابق، ٣٥) من روايات تتعلق بإجلاء بني قينقاع. ومن ذلك " قال اوقد كان فيما بين ذلك غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني قينقاع كان من حديث بن قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلمو فإنكم قد عرفتم أنِّي نبى مرسل تجدون ذلك في كتابكم

وعهد إليكم قالوا يا محمد إنك ترى أنا مثل قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس" (المصدر السابق، ٥٣).

بعد أن أورد الرواية أشار (Wensinck, Muhammad, 107) إلى أن الحقيقة المجردة هي أن السبب الذي أدى الى حصرهم حتى استسلموا هو رفضهم للإسلام، ثم زعم أن ابن اسحق حاول ان يخفي العلاقة بين استخفاف اليهود بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وحصارهم فاورد بعض الآيات وهو يعني بذلك ما ذكره ابن اسحاق في قوله فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم " قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ* قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا (أي أصحاب بدر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش) فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ" (آل عمران١٢-١٣).

كذلك أشار الى رواية أخري لابن أسحاق وهي :"وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة :"أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد" (ابن هشام). حيث زعم أن هذه محاولة مكشوفة من ابن أسحاق إذ أن هذه الرواية التي لاتستقيم وتسلسل الأحداث وانما جاء بها ابن إسحق ليبرر حصار النبي (صلى الله عليه وسلم) لبني قينقاع (Wensinck, Muhammad, 107). و لم يوضح لنا أين عدم الاتساق".

وذكر الكاتب في تعليقه على رواية ابن هشام التي جاء فيها من أمر "بني قينقاع" أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق "بني قينقاع"، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت إنكشفت سوؤتها، فضحكوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين "بني قينقاع" (ابن هشام، السيرة، ٥٤).

إن ابن هشام كما يرى الكاتب لم يقتنع بالطريقة التي عرض بها ابن اسحق الوقائع ولذك اضاف الرواية المذكورة أعلاه ويرى الكاتب ان الاضافة تطعن بدرجة كبيرة فحوى في الرواية لان ما يمكن ان يكون امر مصاحباً صوِّر على انه حدث له نتيجة (Wensinck, Muhammad,

107). وأشار الكاتب إلى أن الدياربكري بدأ بقصة المرأة المشار إليها أعلاه ثم اتبعها -بما اسماه الكاتب- تهديد الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود. و لايستبعد الكاتب وقوع حادثة المرأة الا ان مدى اثرها في الاحداث يبدو واضحاً من عدم ذكر ابن اسحق لها.

ويلخص الكاتب الاحداث بقوله أن ابن اسحاق اشار في الرواية أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعد بدر حث بني قينقاع على قبول الاسلام الا انهم رفضوا بعنجهية مما دفع محمد صلى الله عليه وسلم أن يفقد صبره ويقرر حصارهم .وحتى تتفق الرواية مع مايرمي إليه الكاتب اضاف من عنده - عبارة –" مما دفع محمد صلى الله عليه وسلم ان يفقد صبره ويقرر حصارهم" وهي لم ترد في رواية ابن اسحاق أعلاه. هذه الرواية - كما يرى - هي على قدر كبير من المعقولية ويمكن تبرريرها لتفسيرالاحداث (.Ibid). وانها تحمل كل سمات المصداقية التاريخية. ويضيف أن هذا يبدوا واضحاً بعد قراءة رواية الواقدي التي علق عليها بأن الواقدي كان يبحث عن مبرر لماذا هدد الرسول فاضاف جملة – انهم خرقوا الاتفاقية – ولم يكتفي بذلك -أي الواقدي - وإنما اضاف انهم قاموا لاحقاً بالغاء الاتفاقية واعلنوا الحرب. وتساءل ضد من اعلنوا الحرب والحرب لم تقع بعد (Ibid, 107-108).

كذلك جاء في تعليقه على ما رواية الواقدي الذي روى قال الزهري عن عروة: نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليهما وسلم بهذه الآية: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ" (الأنفال،٥٨)، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخاف من بني قينقاع، قال عروة: فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية (الواقدي، ٢٠٠٤، ج١، ١٦٥ -١٦٦). علق على الرواية انه من المحتمل ان محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يرغب في نزول هذه الآيات قبل ان يتخذ قراره. ثم علق هذا يؤكد وجهة نظرنا انه لم تكن هنالك مخاتلة من اليهود. بالرغم من أنه لم يقدم دليلا على أن اليهود لم يغشوا. ولم يبين ممن كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنى أن يوحى إليه بالآية السابقة. ويضاف الى ذلك عدم رجوعه الى كتب التفسير والسنة التي تشير إلى اكثر من سبب لنزول هذه الآية•.

• يذكر الطبري أنها نزلت في عموم من تخاف خيانته من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد. كما اورد في موضع آخر، وقيل أنها نزلت في بني قريظة، الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تصحيح هاني

ويلاحظ ان الكاتب يتخير من الروايات ما يتفق مع ماطرحه من افكار مسبقة ولايبني القبول والرفض للروايات على منهج علمي واضح (السند او المتن أو المقابلة). واحياناً يطوع الروايات لتوافق تلك الافكار ولعل خير دليل على ذلك اضافته لعبارة " مما دفع محمد صلى الله عليه وسلم ان يفقد صبره ويقرر حصارهم" كما أشرنا من قبل. إن اعادة قراءة الرواية التي يرجح الكاتب انها السبب في إجلاء بني قينقاع توضح أن نصر بدر لم يكن له أثر على بني قينقاع الذين كما جاء في الرواية يظنون أنهم أقوى من قريش (ما يغرنك أنك لاقيت قوم لاعلم لهم بالحرب).إذ يبدو واضحاً من رد بني قينقاع أنه بالرغم من نصر بدر إلا ان ردهم حمل تهديدا مبطناً ووعيدا للنبي. فضلاً ان الكاتب بني جزء من رفضه على فهم خاطئ لمدلول الألفاظ مثل لفظ "إعلان الحرب" في رواية الواقدي، حيث ان إعلان الحرب في الرواية قصد به إنهاء حالة السلم بين الجانبين وليس الشروع في الحرب ومن الملاحظ تكرر نفس اللفظ في عدد من الروايات التي تحدثت عن بني قريظة مثل "نقضوا وأعلنوا الحرب"، أو"حاربوا" ولم يعلق الكاتب عليها.

ويلاحظ أن الكاتب اشار إلى عدم ذكر ابن اسحاق لحادثة المرأة ليشكك في رواية ابن هشام و لم يعلق على عدم ذكر ابن اسحق الى إجلاء بني قينقاع فضلاً عن انه لم يشر الى كتب السنة وتضعيفها لقصة المرأة او إلى عدم إشارتها إلى الجلاء او حتى النزاع بين المسلمين وبني قينقاع وإنما ذكرتهم كجزء من إجلاء اليهود عموماً (ابن حجر، ،ج٧، ٣٢٩ - ٣٣٠). وحتى تتفق الرواية مع مايرمي إليه الكاتب اضاف من عنده - عبارة - مما دفع محمد صلى الله عليه وسلم ان يفقد صبره ويقرر حصارهم. ويلاحظ أيضاً ان الكاتب اعتمد على عدد معين ومحدود من المصادر وأغفل كتب السنة إلا نادراً. كما يلاحظ أن المصادر التي إعتمد عليها أوردت أكثر من رواية لم يذكرها أو يعلق عليها. كما يجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الكاتب عندما كتب في فترة لاحقة عن بني قينقاع في دائرة المعارف الإسلامية (Wensinck, 1913 -1939, IV, 645-646) لم يشر إلى مازعم من تخطيط مسبق للرسول لإجلاء اليهود بل اورد أنه لابد ان تكون فكرة إجلاء بني قينقاع قد خطرت ببال الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن شعر بتوطد وضعه بعد نصر بدر.

الحاج وآخرون،المكتبة التوفيقية،القاهرة٢٠٠٤،ج١٠، ٢٩؛ ذكر القرطبي عدة أسباب منها أنها نزلت في بني قريظة والنضير ولم تشر بقية الأقوال إلي بني قينقاع، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،دار الكتب، القاهرة ١٩٤٩،ج٣١،٨ .

آراء المستشرقين:

يتفق الكاتب مع ما جاء من الآراء مع عدد من المستشرقين السابقين واللاحقين ومن هؤلاء قرنبوم الذي يتفق معه فنسنك في ان الهيبة المتزايدة بعد بدر لطرد بني قينقاع (von Grunebaum, 2009, 36). وهو الرأي الذي يشير إليه تور اندريه إذ يرى ان نصر بدر كان سبباً فضلاً عن الدوافع الاقتصادية (Andrae, T. 2009, 147). و يشاطر دونر ماذهب إليه الكاتب من أن انتصار النبي (صلى الله عليه وسلم) في بدر دعم وقوى موقفه لدرجة أنه شعر أنه قادر على طرد بني قينقاع (Donner, F. 2010, 46). أما ولفنسون يشير إلى رغبة الرسول في تطهير المدينة وأحياء الأنصار من المشركين ومن جميع من يخالفونه دينه بالاضافة الى الدافع الإقتصادي (ولفنسون، ١٩٢٧، ١٢٨). بينما يرى جيبون وأوكلي ان رفض اليهود لتغيير معتقدهم هو السبب الأساس أما ما ذكر من أسباب غير ذلك فلاقيمة له (Gibbon, 1870).

إجلاء بني النضير:

الأسباب:

ذكر الكاتب (Wensinck, Muhammad, 116) اكثر من سبب لإجلاء بني النضير من ضمنها تخطيط النبي (صلى الله عليه وسلم) المسبق للتخلص من اليهود فالنبي (صلى الله عليه وسلم) كما اشار الكاتب قد قرر مسبقاً التخلص من بني النضير لأن وجودهم كان عائقاً في سبيل اقامة حكومة دينية او ملكية دينية في المدينة. وأن هزيمة أحد كان لها دور في قرار المواجهة لأجل رفع الروح المعنوية للمسلمين. يضاف إلى ذلك سلوك اليهود قبل وبعد أحد. وأشار إلى أن القرآن لم يشر إلى أي سبب واضح وراء توتر العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبني النضير (Ibid, 115-116). وحاول الكاتب إيجاد سند للقول بالتخطيط المسبق بالتخلص من اليهود في الرواية التي تشير الى عدم قبول النبي (صلى الله عليه وسلم) مشاركة اليهود في أحد بقوله لان محمد (صلى الله عليه وسلم) اتخذ موقفاً نهائياً منهم- أي اليهود - ويجب التخلص منهم لانهم عقبة في سبيل اقامة حكومة دينية وهي رواية ضعفتها المصادر (ابن سعد، ج٢، ٤٨).

وبالرغم من أن الكاتب أشار إلى أنه يجب عدم إعطاء أهمية كبرى لروايتي ابن اسحاق والواقدي حول محاولة بني النضير بالاعتداء على النبي (صلى الله عليه وسلم) التي كانت سبباً في

إجلاء بني النضير. وأن صدق او كذب الروايتين كما زعم ليس له أثر في مجرى الأحداث لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان سيجد اسباباً كافية لإجلاء بني النضير. إلا انه علق على رواية الواقدي (الواقدي، المغازي، ج١، ٣٠٨) بقوله ان هذا الوصف المتحيز من الواقدي لموضوع بني النضير يثير الكثير من الشكوك (قوية) حول مصداقية الرواية. ثم اضاف ان مجرى الاحداث كما ذكره يمكن ان يكون قد حدث الا انه يبدو من المستبعد ان محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما امر بالإجلاء قد سمح لهم بحمل اثقالهم (Wensinck, Muhammad, 120). كما زعم أن ما اورده كل من الدياربكري وموسى بن عقبة من روايات (الدياربكري، ١٩٩٤، ٢١٠-٢١١) حول إتصالات بني النضير بقريش بعد بدرو قبيل أحد هدفت لإيجاد مبرر لإجلائهم.

ويرى الكاتب انه من المستحيل في الوقت الحالي ان نحدد تحديداً دقيقاً ملابسات حصار بني النضير. لان الروايات القديمة قد تعرضت للتزييف ولاتسمح بنظرة فاحصة لتلك الفترة الهامة. وان الروايات اللاحقة هي دوماً بلا فائدة ولا تخدم التحليل التاريخي فمثلاً الروايات المجهولة في الدياربكري والحلبي التي تدعي ان بني النضير دعوا النبي (صلى الله عليه وسلم) لمحاورته وفي اثناء ذلك هموا بقتله (Wensinck, Muhammad, 120-121).

وأشار الكاتب ان نتيجة اجلاء قبيلة قوية مثل بني النضير حققت إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) مميزات وفوائد كثيرة. فلقد اصبحت هنالك اراضي كثيرة (غنية) اصبحت خالية فتم توزيعها بين المهاجرين، ولعل الكاتب هدف بذلك الى الإيحاء بأن الدافع الإقتصادي ايضاً لعب دوراً في إجلاء بني النضير . فضلاً عن ان اكثر المنتقدين له تم القضاء عليهم اضافة الى تحجيم قوة المنافقين. وان محمد (صلى الله عليه وسلم) ومؤيديه اصبحوا لايخشون اي مقاومة قوية في المدينة (Ibid).

يلاحظ ان الكاتب يردد نفس الزعم بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قرر منذ البداية التخلص من بني النضير ومرة اخرى لم يقدم دليلاً على ذلك. كذلك يكثر الكاتب من إتهام الروايات بالتزييف دون يوضح اين هذا التزييف وما هو المنهج الذي اتبعه لاكتشاف التزييف. بالرغم أن الكاتب خلص الى أنه من الصعب تحديد ملابسات حصار بني النضير إلا انه اشار الى سلوك بني النضير العدائي قبل وبعد أحد. ومرة أخري نتساءل لماذا لم يطرح الكاتب امكانية ان يكون بني النضير قد فكروا في استغلال هزيمة أحد وما ألحقته من أثر نفسي بالمسلمين

للتخلص منهم. وكذلك عدم مناقشتة الروايات التي تشير إلى اتصال بني النضير بقريش بعد بدر وقبيل أحد وتحريضهم للمشركين على قتال المسلمين واتهامه لهذه الروايات بالوضع دون تقديم دليل (Ibid).

أشار الكاتب الى أن القرآن لم يشر الى اسباب واضحة لإجلاء بني النضير (Ibid) وهي تعكس التناقض في منهج الكاتب فهو إن اشار القرآن كما في حالة بني قينقاع يشككك في أن الرواة اضافوا الآية لإيجاد مبرر أو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يتمني نزول الآية لتبرر له ما قام به" ,إما تخافن من قوم .....الخ الآية". فضلاً أنه كما هو واضح أنه لم يهتم كثيراً بالرجوع الى كتب التفسير أو الحديث ليقف على آرائها ثم يقرر بعد ذلك قبول ما ورد فيها او رفضه. ولعل خير دليل على ذلك ان بعض هذه المصادر تسمي سورة "الحشر" سورة بني النضير (الطبري، الجامع، م١٥، ٣٠-٥٤).

علاقة افكاره بالمستشرقين:

اتفقت آراء الكاتب مع عدد من المستشرقين فمثلاً ميور ايضاً يشكك في المؤامرة لأن القرآن لم يشر لها ويتفق مع فنسنك في أن الرسول قد قرر بأنه يجب التخلص من اليهود الى الأبد (Muir, 1932, 35). كذلك يربط فرانسسكو جابريللي بينها وبين نتيجة معركة أحد ويرى أن تدهور الروح المعنوية بعد أحد كان لابد من التغلب عليه (Gabrieli, 1968, 71). كما حاول دونر الربط بين أحد وغزوة بني النضير (Donner, 1979, 229–247). أما واط فيذهب إلى أن الهجوم على بني النضير كان مدفوعاً بصورة أساسية إلى رفع معنويات المسلمين بعد أحد وتقوية مركزه في المدينة (Watt, 1980, 217).

أسباب إجلاء بني قريظة

ساق الكاتب عدد من الأسباب لإجلاء بني قريظة من اهمها أنهم قرروا بعد تردد إلغاء مبدأ التفاهم الطيب الذي كان يربطهم بمحمد (صلى الله عليه وسلم)وشكك في مشاركة اليهود في الحصار و اشار الى غضب محمد (صلى الله عليه وسلم) من موقف اليهود غير الثابت اثناء الحصار دفعه الى وضع حد للتهديد اليهودي وانه بذلك حقق الهدف الذي كان يسعى إليه بتطهير المدينة من اليهود (Wensinck, Muhammad, 127).

لم يوضح الكاتب الأسباب التي دفعت ببني قريظة الى إلغاء مبدأ التفاهم الطيب مع النبي (صلى الله عليه وسلم). كما أنه يورد أن المصادر لم تشر الى مشاركة اليهود في الحصار وهو قول ليس دقيقاً تماماً كما سنبين لاحقاً.

كذلك ردد الكاتب (Ibid) نفس الزعم الذي ساقه من قبل أن إجلاء بني قريظة هو يمثل تحقيق الهدف الذي خطط له محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ البداية وهو رأي قصد به تبرئة ودفع أي تهمة عن اليهود بالرغم أن الكاتب كما اشرنا سابقاً كان يحاول أن يؤسس حججه على أن مضايقات اليهود للنبي هي التي دفعته الى اتخاذ هذا الموقف في المواجهات الثلاث الا ان الكاتب فشل أن يرى في هذا موقفاً مبدئياً من اليهود للتخلص من النبي (صلى الله عليه وسلم) وأن إنعدام الوحدة السياسية بين اليهود فضلاً عن انحياز اغلب حلفائهم السابقين من الأوس والخزرج إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) هي التي حالت دون أن يحقق اليهود ذلك الهدف. وذكر الكاتب انه بجلاء بني قريظة حقق محمد (صلى الله عليه وسلم) هدفه الرئيس فالمدينة اصبحت بكاملها يمكن الاعتماد عليها (Ibid).

ويذكر الكاتب أن موقف المسلمين من بني قريظة يمكن فهمه من خلال ما سببته بنوقريظه بسلوكهم غير الواضح اثناء الحصار حيث جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم لاسابيع في قلق وهذا الموقف لو تطور الى تاييد الاحزاب لالحق اذى كبيرا بالمدينة.. ولهذا اراد النبي (صلى الله عليه وسلم) ان يضع حداً نهائياً لتهديد اليهود. وليس هنالك وسيلة غير القضاء عليهم فلو انه اجلاهم لاتحدوا مع خيبر القوية وشكلوا تهديدا دائماً للمدينة (Ibid). والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا لماذا وصف الكاتب ما كان يربط بين بني قريظة والمسلمين بـ "التفاهم الطيب" ولم يستخدم عبارات "موادعة أو معاهدة او دستور المدينة" التي استخدمها في وصفه للعلاقات بين الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل إجلاء بني قينقاع - كما اشرنا من قبل- عندما زعم ان الرسول صلى الله عليه وسلم قصد بها كسب الوقت. ويبدو أن الكاتب اراد أن يوحي أنه لم تكن هنالك معاهدة وأن ماقام به اليهود هو مجرد إلغاء للتفاهم وليس نقضاً لمعاهدة هادفاً للتقليل مما قام به بني قريظة. وذلك بالرغم من اشارة المصادر إلى ارتباط بني قريظة بمعاهدة مع المسلمين وإلى أن ماقام به بنو قريظة هو نقض للعهد وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الزبير بن

العوام ليتثبت من الأمر ثم أرسل بعد ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لذات الغرض وقد أكدوا له صحة الأمر.

صحيح أن بني قريظة لم يشاركوا في القتال ولكن هنالك إشارات إلى نشاطهم العدواني وإخافة الناس (الواقدي، ١٩٨٩، م٢، ٧٤-٧٨) ومدهم لقوات الأحزاب بالمؤونة (السمهودي، ١٩٥٥، ج١،٢٩٨؛ الحلبي، ٢٠٠٨، ج٢، ٣٥٧-٣٥٨). كذلك أشار الكاتب إلى انه يبدو أن بعض العائدين الى منازلهم قد تعرضوا الى السهام القرشية وان صفية بنت عبد المطلب قتلت أحداً من القرشيين حين إقترب من منزلها وهو قول لايتفق مع ما اوردته المصادر . إذ تذكر المصادر أن الذين كانوا يتحرشون بأهل المدينة ويرشقونهم بالسهام هم يهود بني قريظة. وأن صفية بنت عبد المطلب قتلت يهودياً من يني قريظة حين إقترب من الحصن الذي كانت فيه النساء والذراري وليس رجلاً من قريش كما ظن الكاتب (أبن هشام، السيرة، ٢٥٢). كذلك لم يشر الى ما نزل من آيات في بني قريظة فضلاً عن العديد من الروايات التي تتناقض مع ما إعتمد عليه الكاتب فمثلاً لم يشرإلى أن كتب السنة مثل البخاري ومسلم لم تذكرا خبر تنفيذ الإعدام او عدد من قتلوا (البخاري، ٢٠٠٦، ٤٦٠-٤٦١). رفض الكاتب رواية ابن أسحاق المتقدمة على اساس انعدام السند بينما استند على عدد من الروايات تعاني من نفس العلة. ونلاحظ أن الكاتب أحياناً يرفض رواية بزعم التزييف او الوضع وفي نفس الوقت يستخدم جزء من هذه الرواية إذا اتفقت مع ما يعرض من آراء فمثلاً هو يرفض رواية الواقدي لأسباب إجلاء بني قريظة ويتهم الواقدي بالوضع إلا انه يستشهد بها عندم يذكر أن الواقدي يؤكد أن بني قريظة لم يشاركوا في القتال.

آراء المستشرقين:

ومن الكتاب الذين اشتركوا مع الكاتب تور أندريه في ان الرسول اختار سعد بن معاذ وكان يعلم ما سيقرره (Andrae, Muhammad, 100). هو نفس الرأي الذي أشارت إليه فرجينيا فاكا التي تذكر أن سعد لم يكن إلا منفذاً لرغبة الرسول (Vacca, 1128) كذلك ذهب مكسيم رودنسون إلى ما أشار إليه الكاتب من انه يجب عدم الحكم على مالحق ببني قريظة بمعايير العصر الحاضر لتهديدهم للمسلمين (Rodinson, 1996, 214).

نلاحظ أن بعض الاستنتاجات التي توصل إليها الكاتب لاتستند على أدلة واضحة ولم تبن على تحليل علمي للنصوص ونقدها وانما انطلقت من بعض القوالب او الاطروحات الجاهزة

والمعدة مسبقاً التي حاول الكاتب الاستدلال عليها بكل ما يخدم النتيجة المحددة سلفا، ولذلك جاء الاستدلال في بعض الاحيان مجافياً لبديهيات البحث العلمي كاتهام الكاتب لبعض الروايات دونما تقديم دليل علمي على ذلك او الإتيان بمصادر مغايرة للمصادر الاسلامية تدعم ماذهب إليه مما يجعل آراء الكاتب احياناً اجتهادات شخصية وفي بعض الأحيان ترديداً او اتباعاً لما اشارت له بعض الدراسات الاستشراقية السابقة. كذلك اتضح من خلال هذا العرض النهج الانتقائي الذي انتهجه الكاتب احياناً في تعامله مع النصوص والمصادر. فضلاً عن أن أي دراسة عن العلاقات بين اليهود والرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة تتجاهل تقييم ماورد في تفاسير القرآن الكريم والسنة حول هذا الموضوع أو تنتهج نهجاً انتقائياً في التعامل مع الروايات والمصادر فهي دراسة تجانب المنهج العلمي. ويبدو ان المساهمات العديدة للكاتب في مجال الدراسات الاسلامية التي اعقبت هذا المؤلَف كان لها اثراً واضحاً في بعض الدراسات الاستشراقية اللاحقة التي اعتمدت على ما ورد في هذا الكتاب.

المصادروالمراجع

المراجع العربية

القرآن الكريم

- ابن حجر، أحمد بن علي. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة. بيروت. ١٩٥٩م.
- ابن سعد، محمد. **الطبقات الكبرى**. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة. ١٩٨٩م.
- ابن عقبة، أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش. **المغازي**. أكادير. المغرب. ١٩٩٤م.
- ابن هشام، عبد الملك. **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وآخرون. دارأحياء التراث الإسلامي. بيروت. (د. ت.)
- البخاري،محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. دار بن حزم. بيروت. ٢٠٠٩م.
- بدوي عبد الرحمن. **موسوعة المستشرقين**. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٨٤م.
- الجميل، محمد بن فارس. **النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة**. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. ٢٠٠٦م.
- الحلبي، أبو الفرج نورالدين علي بن إبراهيم بن أحمد. **السيرة الحلبية**. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢٠٠٨م.
- الدياربكري، حسين بن محمد الحسن. **تاريخ الخميس**. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢٠٠٩م.
- السمهودي، نور الدين علي بن عبد الله. **وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى**. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٥٥م.
- الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تصحيح هاني الحاج وآخرون،المكتبة التوفيقية،القاهرة،٢٠٠٤
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**. دار الكتب. القاهرة. ١٩٤٩م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**. مكتبة الرشد. الرياض. ٢٠٠٦م.
- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر. **المغازي**. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢٠٠٤م.

- ولفنسون، اسرائيل. **تاريخ اليهود في بلاد العرب**. مطبعة الإعتماد. مصر. ١٩٢٧م.

المراجع الأجنبية

- Andrae, T. 2009. *Muhammad the man and his faith*. Trans. Thephil Menzel USA.
- Donner, F. 1979. "Muhammad's political consolidation in Arabia up to the conquest of Mecca". *The Muslim World*. Vol. 69, Issue 4 . 229–247.
- Donner, F. 2010. *Muhammad and the believers: At the origins of Islam*. USA.
- Gabrieli, F. 1968. *Muhammad and the Conquests of Islam*. Trans. From Italian by V. Luling & R. Linell. New York.
- Gibbon, E., and Simon Ockley. 1870. *History of the Saracens Empire.* London.
- Muir, W. 1932. *The life of Muhammad*. Edinburgh.
- Rodinson, M. 1996. *Muhammad*. Trans. Ann Carter. England.
- Vacca, V. 1913-1939. " Ḳuraiẓa". *Encyclopaedia of Islam*. Ist edition, ed. by M. T. Houtsma *et al*. Leiden: E. J. Brill, 1913 -1939, IV, 1128.
- Von Grunebaum, G. E. 2009. *Classical Islam: A history 600-1258.* Trans. by Katherine Watson. New Jersey.
- Watt, M. 1980. *Muhammad at Medina.* Oxford.
- Wensinck, A. J. 1913 -1939. "Kainuka'", *Encyclopaedia of Islam*, Istedition, ed. by M. T. Houtsma *et al*., Leiden: E. J. Brill, , IV, 645-646
- Wensinck, A. J. 1982. *Muhammad and the Jews of Medin*a, Trans. From German byH. B. Wolfang. Berlin.